الحرب بين إيران وأمريكا؛ السيناريوهات المحتملة والعواقب

تأليف: حسين آرين وهو محلل شؤون عسكرية واستراتيجية إيراني مقيم في بريطانيا
ترجمة: مركز الفرات للدراسات

رابط المقال الأصلي

اتبعت الولايات المتحدة الأمريكية، مع خروجها من الاتفاق النووي مع إيران في ٨ أيار/ مايو ٢٠١٨ نهجين رئيسيين لأجل تحقيق استراتيجية "الضغوط القصوى" على إيران:

الأول: هو خنق الاقتصاد الإيراني من خلال فرض العقوبات الشديدة واسعة النطاق، على أمل أن يؤدي ذلك إلى اندلاع مظاهرات واحتجاجات شعبية داخلية تطيح بالجمهورية الإسلامية، أو إرغام حكام البلاد على الإذعان لمطالب الولايات المتحدة الأمريكية؛ والنهج الثاني هو تهديد الجمهورية الإسلامية بتنفيذ عمليات عسكرية واسعة، وحدها أو مع حلفائها في المنطقة، تشلّ قدراتها.

ولأجل أن تزداد ثقة الولايات المتحدة وإيمانها بتهديداتها، وعلى الرغم من امتلاكها سبع قواعد صغيرة وكبيرة في الدول الواقعة جنوب الخليج العربي، واتخاذها قراراً، منتصف نيسان من هذا العام، بإنشاء قاعدتين أخريين في مينائي "الدقم" و "صلالة" في عمان، فقد أرسلت حاملة الطائرات "لينكولن" برفقة ثلاث مدمّرات إلى منطقة القيادة المركزية، وذلك بسبب "ازدياد

التحركات الإيرانية في المنطقة"، كما هدّد جون بولتون مستشار الأمن القومي الأمريكي، في ذلك الوقت، بالردّ على أيّ هجوم من قبل إيران "بقوّة شديدة".

وبالتزامن مع ذلك، أرسلت الولايات المتحدة عدداً من قاذفاتها الاستراتيجية (بي ٥٢) إلى قاعدة "العديد" في قطر، كما نشرت قبل ذلك أيضاً في قاعدة "الظفرة" في الإمارات العربية المتحدة عدداً من مقاتلات (F35-A) متعددة المهام، وأكثر طائرات الجيل الخامس تطوراً وقدرةً على التخفي عن الرادارات في العالم.

وفي ١٢ أيار/ مايو ٢٠١٩، بعد مضيّ حوالي أسبوعٍ من عمليات النقل هذه، تعرضّت أربع ناقلاتٍ للنفط في ميناء "الفجيرة" لهجومٍ تخريبيّ، وحمّلت الولايات المتحدة إيران مسؤولية هذه الهجمات.

عقب ذلك، في يوم الخميس المصادف لـ ١٣ حزيران/يونيو، تعرّضت ناقلتا نفط للهجوم في بحر عُمان، وأعلنت الولايات المتحدة وقوف الحرس الثوري الإيراني وراء هذا الهجوم، وعلى إثر ذلك أرسلت الولايات المتحدة في ١٨ حزيران ألف جندي إضافي إلى منطقة الخليج العربي. وبعد مضيّ يومين أسقط الحرس الثوري طائرةً مسيّرة أمريكية قرب مضيق هرمز بسبب تحليقها في المجال الجوي الإيراني.

وأصدر البيت الأبيض قراراً للتحضير لضربات عسكرية على عدّة مواقع في إيران، ولكن على ما يبدو أنّ دونالد ترامب قرّر في اللحظات الأخيرة عدم القيام بذلك، وذلك بسبب التقديرات المحتملة لعدد الضحايا، التي تمّ عرضها عليه.

وأدّت الهجمات الأخيرة على المنشآت النفطية السعودية في "بقيق" و"خريص" إلى زيادة حدّة التوترات في المنطقة، كما تسببت بتقليص صادرات النفط السعودية إلى النصف، ولم تتهم الولايات المتحدة الحوثيين بالقيام بهذه الهجمات، بل حمّلت إيران مسؤوليتها، واعتبرت هذه الهجمات بمثابة إعلان الأخيرة الحرب على السعودية.

تهديد ووعيد متبادل بين الأطراف

بلغ التوتّر بين إيران وأمريكا مرحلةً حساسةً وخطيرة، وما تزال القضايا الأساسية بين البلدين قائمةً، وقال دونالد ترامب مراراً إنّ الولايات المتحدة لا تسعى إلى الحرب مع إيران أو تغيير النظام، حتى أنّه قال، خلال طرحه للحوار غير المشروط مع المسؤولين الإيرانيين، إنّ بإمكان إيران، بقيادتها الحالية، أن تصبح بلداً عظيماً، كما اتهم القادة الإيرانيين في عدّة مناسبات- على العكس من مواقفه السابقة- بأنّهم "لا يفهمون إلا لغة القوة"، ووصفهم بأنهم "أنانيون" و"حمقى" بسبب تهرّبهم من عقد اتفاق مع الولايات المتحدة.

وعلى نحوٍ مشابه، أظهر المسؤولون الإيرانيون ردود فعلٍ في مناسباتٍ مختلفة. فقد وصف حسن روحاني العقوبات المفروضة على مرشد الجمهورية الإسلامية الإيرانية من قبل الولايات

المتحدة بأنّها "تصرّفٌ وقح وأحمق"، وقال إنّ "البيت الأبيض يعاني من إعاقةٍ عقلية"، واشترط رفع جميع العقوبات قبل إجراء التفاوض مع الولايات المتحدة.

ويرى المرشد الإيراني أيضاً أنّ التفاوض مع أمريكا هو بمثابة "سمٍّ مضاعف". وعلى عتبة انعقاد الجلسة الرابعة والسبعين للجمعية العامة للأمم المتحدة، ومع التكهنات التي طفت إلى السطح حول لقاء حسن روحاني بدونالد ترامب، قال: "لن يجرى أيّ اتفاق مع أمريكا، لا في نيويورك ولا في أيّ مكانٍ آخر".

ومن جانبه قال دونالد ترامب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة خلال حثّه دول العالم لزيادة الضغط الاقتصادي على إيران: "لن تُلغى العقوبات على إيران ما لم تغيّر من سلوكها، بل إنّها ستتضاعف".

شروط التفاوض

إنّ ادعاء الولايات المتحدة استعدادها لإجراء مفاوضاتٍ غير مشروطة مع إيران – والتي رفضها الرئيس الأمريكي أيضاً في الآونة الأخيرة- هو ادعاءٌ لا قيمة له، فقد تمّ طرح إجراء المفاوضات غير المشروطة مراراً، ولكن إذا ما ألقينا نظرة على التصريحات التي جاءت في إثر الادعاء، سواءً من قبل وزير الخارجية الأمريكية مايك بومبيو أو من قبل مستشار الأمن القومي السابق جون بولتون، وغيرهما من المسؤولين الأمريكيين، نجد أنّ معيار الحوار مع إيران هو ليس الشروط الإثني عشر التي اقترحها وزير الخارجية الأمريكية، وإنّما يأتي في المقدّمة، الإيقاف الكامل للبرنامج النووي وتخفيض القوّة الصاروخية الإيرانية إلى الحدّ الأدنى.

وقد قال جون بولتون مراراً وبصريح العبارة إنّ البرنامج النووي الإيراني يجب أن يزول، كما أنّ لخلفه في البيت الأبيض روبرت أوبراين، الذي يُعتبر من أشدّ المعارضين للاتفاق النووي الإيراني وللجمهورية الإسلامية الإيرانية ، رأياً مماثلاً في هذه المسألة.

في واقع الأمر، إنّ دافع الولايات المتحدة لإجراء الحوار مع إيران هو ليس إلّا لمناقشة كيفية تنفيذ الجمهورية الإسلامية الإيرانية للشروط الأمريكية الإثني عشر، وهو ما يذكّرنا بمبدأ "لعبة اللاربح واللاخسارة"، وبعبارةٍ أخرى فإنّ الولايات المتحدة تهدف، في مقابل الامتيازات الاثني عشر التي تصبّ في مصلحتها، إلى خسارة إيران لهذه الامتيازات وبالدرجة ذاتها، وذلك في غياب أيّ إشارة تدلّ على مبدأ الأخذ والعطاء الذي عادةً ما يكون أسلوباً متّبعاً في العمل السياسي والدبلوماسي.

وسط هكذا أجواء، حيث مضت الأمور إلى أبعد من "الضغوطات القصوى" والرّدع (الذي له ماهيّة احترازية)، وبدأت تميل نحو "الحدّ الأقصى من الإرغام"، وأصبحت يدا الطرفين على الزناد، لا تبدو تصريحات مايك بومبيو منطقيةً حينما يقول إنّ زيادة التواجد الأمريكي في المنطقة وتشكيل تحالف عسكري لحماية ناقلات النفط هي خطوة ذات طابع دفاعي احترازي صرف، وإنّ الهدف من ذلك هو مواجهة إيران؛ وعليه، لا يمكن استبعاد حدوث محاسبات ميدانية واستراتيجية غير دقيقة تتطوّر إلى مواجهةٍ عسكرية.

"فخّ ثيوسيديدس" المواجهة الحتميّة؟

في نظرةٍ شاملة، نجد أنّ إيران والولايات المتحدة يتواجهان في حلبة الشرق الأوسط الجيوسياسية منذ أربعة عقود، وقد تنتهي هذه المواجهة على المدى الطويل بوضعٍ سمّاه الخبير الاستراتيجي في جامعة هارفارد غراهام أليسون بـ "فخّ ثيوسيديدس". أي أنّ المغامرة الكلاسيكية التي تتمثل في إطلاق قوّةٍ ناشئة للوعيد وتحدّيها لقوّةٍ متفوّقة في الساحة تكون نتيجتها الحرب في أغلب الأحيان.

إنّ تحدّي إيران للولايات المتحدة ومصالحها الاستراتيجية له جذورٌ ممتدّة في السياسة الخارجية الإيرانية. وفي سياق هذه السياسة فإنّ التصوّر العام المنبثق من الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ يقوم على أنّ أمن الشعب الإسلامي وأمن إيران والجمهورية الإسلامية هو واحدٌ لا يتجزّأ، وهو مرتبطٌ بأمن ومصالح باقي مسلمي العالم أيضاً. وعليه، فإنّ مرشد الجمهورية الإسلامية هو وليٌّ للمسلمين في العالم أيضاً، وبطبيعة الحال فإنّ الحفاظ على أمن الجمهورية الإسلامية له الأولوية من بين مختلف القضايا الأخرى، وإنّ أكبر التهديدات الخارجية ضدّها هي أمريكا وإسرائيل. وانطلاقاً من هذا التصوّر "الأصيل والثوري للإسلام الحقيقي"، ولأجل مواجهة الجمهورية الإسلامية الإيرانية التهديدات الخارجية المشكوك في أمرها، ونشر رسالتها التي ألزمت نفسها بها، فإنّها تتبع استراتيجياتٍ محدّدة في المنطقة، ويُعتبر وجودها ونفوذها في كلّ من سورية ولبنان والعراق واليمن وغزّة من أبرز ملامح هذه الاستراتيجيات.

وبطبيعة الحال فإنّ الولايات المتحدة وعدد من دول المنطقة يرون هذه الاستراتيجية التي تتبعها الجمهورية الإسلامية الإيرانية كَسعي إلى الهيمنة، وهذا أمرٌ جليٌّ في تصريحات المسؤولين الإقليميين والدوليين. إلى جانب ذلك، فإنّ البرنامج النووي الإيراني وامكانية حصول إيران على الأسلحة النووية يُعتبر مصدر قلقٍ لغالبية هؤلاء المسؤولين، ولو أنّ التكهنّات حول إنتاج هذه الأسلحة يُعتبر جزءاً من تحدٍّ جيواستراتيجيٍّ كبير، ولا سيّما بالنسبة للولايات المتحدة التي تُعتبر اللاعب الأساسي في المعادلات الإقليمية.

ولذلك لا يمكننا استبعاد مواجهة عسكرية بين إيران وأمريكا، يكون ميدانها الأساسي البحر والجوّ، ما لم تتغيّر الاستراتيجية آنفة الذكر للجمهورية الإسلامية الإيرانية، وتزول التحدّيات النابعة منها أو أن تخفّ حدّتها على أقلّ تقدير.

ولهذا السبب تتبادر إلى الذهن أسئلة من قبيل كيف ستكون طبيعة الحرب بين البلدين في الواقع الراهن؟ وفي حال نشوب الحرب، ماذا بوسع إيران القيام به من الناحية العسكرية؟ وبالنظر إلى أنّ القوة العسكرية الإيرانية لا تُقارن بقوّة الولايات المتحدة، هل تمتلك إيران الأدوات والقدرات التي من شأنها أن تضغط على أمريكا وتحول دون وصولها إلى أهدافها الاستراتيجية في المنطقة؟ وكيف سيكون ردّ فعل الولايات المتحدة وهل ستحقق أهدافها؟

استراتيجية "منع الوصول"

منذ سنواتٍ عديدةٍ تتبع إيران هذه الاستراتيجية في عقيدتها العسكرية وتأخذها بعين الاعتبار. وتندرج الأسلحة والأدوات الإيرانية المهيأة للحروب غير المتكافئة ضمن إطار هذه الاستراتيجية، ومن الأمثلة عليها؛ الألغام البحرية والصواريخ البالستية وصواريخ كروز، والطائرات المسيّرة، والغوّاصات، والأسلحة السايبيرية (الإلكترونية) و«نظام القيادة، والتحكم، والاتصال، والكمبيوتر، والاستعلام والاستطلاع» أو ما يسمّى بـ (C4ICR).

ولا يرقى امتلاك إيران لهذه الأسلحة والأدوات إلى مستوى دولٍ أخرى مثل الصين، لكن من شأنها أن توجّه ضربةً لا يُستهان بها للخصم.

وفقاً لدراساتٍ أجراها مركز «التقييمات الاستراتيجية والميزانية» في الولايات المتحدة قبل عدّة أعوام، فإنّه من المتوقّع أن تشنّ إيران- في حال حدوث مواجهة عسكرية بينها وبين أمريكا في الخليج العربي- هجوماً مفاجئاً مركزّاً باستخدام أسلحةٍ وأعتدةٍ متنوّعة، من بينها الرادارات الساحلية والطائرات المسيّرة والسفن المدنية (لأجل إرسال المعلومات بهدف توجيه الضربات الأولية)، وبالاعتماد على الفرقاطات والقوارب السريعة لشنّ «هجوم النحل» وإطلاق مكثّف للصواريخ والقذائف في المضائق المائية، لإشباع منظومة الدفاع الجوّي (AEGIS)، ومنظومة الدفاع القريبة من السفن الحربية الأمريكية، مع احتمالية استدراجها نحو حقول الألغام، بالإضافة إلى أدواتٍ أخرى مثل استخدام الزوارق السريعة التي يقودها انتحاريون أو بدونهم، والمعبّأة بالمواد المتفجّرة.

في موازاة ذلك، فإنّ إطلاق الصواريخ الساحلية إلى البحر، أو صواريخ الحاويات من السفن المدنية، بإمكانه أن يزيد من شدّة الهجمات. وبوسع القوارب والزوارق المهاجمة، من خلال استغلال حركة الملاحة في البحر، أن تتوارى عن الرادارات، وبالتالي تصعّب على الخصم رصدها و استهدافها.

وبالتزامن مع هذه الهجمات، فإنّ بإمكان إيران، من خلال استخدام الطائرات المسيّرة، والصواريخ البالستية، وصواريخ كروز قصيرة المدى، أو بالاعتماد على وكلائها، أن تستهدف القواعد البريّة والبحرية ومطارات أمريكا وحلفائها في المنطقة. ومن الممكن أن تستهدف إيران، عبر تنفيذ "الهجمات العصيّة على الوصول"، بعض البنى التحتية والمدنية مثل المصافي والمطارات والمنشآت النفطية الساحلية والبحرية، وكذلك محطات تحلية المياه، العائدة لحلفاء الولايات المتحدة في الجانب الآخر من الخليج العربي.

ومن المحتمل أن تستخدم إيران في بداية الهجوم صواريخ أقلّ دقّة لإشباع أنظمة الدفاع الصاروخية الأمريكية، وبعد ذلك تقوم بإطلاق الصواريخ البالستية الدقيقة قصيرة المدى.

كما أنّ وكلاء إيران في الخطوط الأمامية بإمكانهم استخدام قذائف الهاون الذكية، أو الصواريخ الذكية أو الذخيرة الإشعاعية، لتدمير رادارات العدوّ أو أنظمة القيادة والتحكّم لديه.

فوضى في حركة الملاحة، زراعة الألغام، راجمات الصواريخ الساحلية

بعد الهجمات الأولية، ولأجل إضعاف القوات الأمريكية في الخليج العربي، قد تُقدم إيران على القيام بأفعالٍ من شأنها خلق حالة من الفوضى في خطوط الملاحة البحرية، ولا سيّما في عبور السفن في مضيق هرمز- الذي يُعتبر أحدّ أهمّ الممرات المائية الاستراتيجية للملاحة البحرية في العالم، إذ يعبر منه قرابة ١٨,٥ مليون برميل من النفط يومياً، أي ما يقارب خُمس احتياجات العالم من النفط.

وفي هذا المجال، تُعتبر الألغام البحرية إحدى الأدوات المهمّة لإيران، فاللغم يُعتبرُ عامل ردعٍ بالغ القوّة في المعارك البحرية، ويقدّر عدد الألغام البحرية للقوات البحرية التابعة للحرس الثوري والجيش النظامي بأكثر من ٢٠٠٠ لغم، بينها الألغام الصينية المتطورة التي تسمّى "EM-52 "، وهي تُعتَبر قوّة كبيرة.

ثمة احتمالٍ كبير أن تلجأ إيران إلى استخدام مجموعة من ألغام القاع الذكية (ألغام قاع البحر المزوّدة بحسّاس مغناطيسيّ وصوتي وضاغط)، أو الألغام العائمة المربوطة، والتي يتم تثبيتها بواسطة مرساة مثبتة في قاع البحر، ومن الخيارات المُتاحة الأخرى، استخدام الألغام الطافية التي تتحرّك مع التيارات البحرية ومع حركة المدّ والجزر، والتي لا مكان ثابت لها.

وبإمكان غوّاصات كلاس (كيلو)، والغواصات الصغيرة، والطوافات العادية وحتى اليخوت أن تقوم بزرع مختلف الألغام.

في حين أنّ الهدف من زرع الألغام بإمكانه أن يكون تدمير البوارج أو السفن، غير أنّ الهدف الرئيسي لإيران منها هو منع عبور هذه السفن وإجبار القوات البحرية الأمريكية على القيام بعمليات إزالة الألغام المعقّدة والطويلة وباهظة التكاليف. ومن شأن هذه العمليات- إذا ما كانت مترافقة بقصفٍ من راجمات الصواريخ الساحلية صوب البحر أو من المنظومات الأرضية إلى الجوّ- من شأنها أن تشكّل تهديداتٍ جدّيةً للأسطول الأمريكي وعلى فرق الهندسة التي تستخدم المروحيات لإزالة الألغام.

إنّ سفن وحدات الهندسة عادةً ما يكون لها جسم من الخشب أو من الفيبر جلاس، وهي أكثر عُرضةً للضرر أمام الهجمات الصاروخية بالمقارنة مع البوارج ذات الجسم المعدني، لكنّ العملية معكوسة في مواجهة الألغام.

بإمكان إيران نشر الصواريخ المضادة للسفن الساحلية، في مواجهة هجمات العدوّ، في مواقع محصنّة ومموّهة ضمن مياهها على طول السواحل المطلّة على الخليج العربي وبحر عُمان أو في الجزر الإيرانية في الخليج، ومن شأن ذلك إحداث مواقع وهمية لتضليل العدوّ وإبطاء هجمات وردود الفعل الأمريكية. من الممكن نشر المئات من هذه الصواريخ في مواقع لا تُحصى في الأماكن آنفة الذكر، وتفعيل السفن الحربية السطحية وأسطول الغوّاصات من خلال تلقي البيانات والمعلومات من الطائرات المسيّرة. وسيؤدي الهجوم من محاور عديدة من خلال استخدام هذه الصواريخ إلى إشباع القوة الدفاعية للبوارج العابرة، وبالتالي تمهيد الطريق أمام شنّ هجومٍ بصواريخ أكثر تطوّراً.

توسيع ساحة الصراع، ومراجعة العقيدة العسكرية؟

على الرغم من دراية إيران بالقدرات العسكرية الأمريكية وحجم القوات التي بإمكان الأخيرة إرسالها إلى المنطقة، في حال حدوث المواجهة، إلا أنّ إيران بإمكانها توسيع النطاق الجغرافي للمعركة بهدف تشتيت انتباه الولايات المتحدة، وبالتالي تقليل تركيز قواتها. كما أنّ وكلاء إيران بإمكانهم تهديد المصالح الأمريكية في الجبهات الأخرى، وذلك بمساعدة وتوجيه من عناصر فيلق القدس. وبإمكان إيران أيضاً، وبمساعدة حزب الله، إدخال إسرائيل إلى ساحة المعركة، أو تنفيذ عمليات سريّة في مناطق أخرى عن طريق الشبكات المرتبطة بحزب الله.

وعلى نحوٍ مشابه، تستطيع إيران تلغيم المياه المحيطة بمضيق باب المندب، و جزءٍ من البحر الأحمر، وأيضاً مضيق ملقا. ويمكنها القيام بذلك بنفسها أو عن طريق جماعاتها بالوكالة، ومن شأن هذا العمل إحداث زعزعة كبيرة في نظام سوق النفط العالمي.

ويعبُر من مضيق ملقا رُبع النفط الخام في العالم، وهو يربط بحر أندامان في المحيط الهندي ببحر الصين الجنوبي.

يبدو أنّ آية الله علي خامنئي قد توصّل إلى هذه النتيجة التي مفادها أنّ التهديدات يجب أن يُردّ عليها بالتهديدات، بل يجب رفع سقفها بهدف ردع أمريكا، وقد دعا القادة العسكريين إلى وضع خطط لأجل "توسيع نطاق القوّة" أو "نشر القوة" في المناطق الجغرافية الأخرى.

كما قال حسين سلامي (القائد العام للحرس الثوري الإيراني) في حفل تنصيبه في شهر ايار/مايو من هذا العام، في إشارةٍ إلى الجهود المبذولة لتوسيع نطاق قوّة الجمهورية الإسلامية وتجاوزها حدود المنطقة لتمتد نحو العالم : "يجب ألاّ تكون هناك نقطة آمنة للعدوّ في كلّ أرجاء العالم".

كانت العقيدة الدفاعية الإيرانية بين ٢٠٠٣ و٢٠١٠ تهدف إلى "الردع الفعّال"، أي الاعتماد على جغرافية إيران الواسعة وتعميق قوّاتها بهدف زيادة خسائر العدوّ، واستناداً إلى ذلك تمّ إعداد خطة عمليات "الدفاع الفسيفسائي". عقِب ذلك، ونظراً للتهديدات التي تشكّلها إسرائيل وبعض دول الخليج العربي وداعش وأمريكا، ارتكز مبدأ إيران العسكري-مع الحفاظ على طبيعته الدفاعية- على العمق الاستراتيجي في الخارج، والقدرة العسكرية للوكلاء، وزيادة القدرات الصاروخية الإيرانية.

وفي الوقت الراهن، وفي ظلّ "العقوبات القصوى" التي يفرضها دونالد ترامب على إيران، وخروج الولايات المتحدة من الاتفاق النووي، تغيّر تقبّل إيران للتهديدات الأمريكية، وهي تفكّر في مراجعة عقيدتها العسكرية، ولا سيّما أنّ التحالف غير المكتوب بين بعض دول الخليج العربي وإسرائيل، قد رفع سقف التهديدات المحتملة أكثر من ذي قبل.

في أواخر نيسان/أبريل من العام الجاري قال الناطق باسم القوات المسلحة الإيرانية إنّ إيران لن تتبع استراتيجيةً دفاعية تجاه الولايات المتحدة. وبناءً على ذلك، فإنّه يتضح من خلال تصريحات القادة الإيرانيين أنّ العقيدة العسكرية الإيرانية ترتكز على عاملين اثنين، وهما: توسيع العمق الاستراتيجي مع توسيع النطاق الجغرافي لميادين الحرب، ومفاجأة العدوّ بوابلٍ من النيران.

وفي هذا الصدد، ستسعى إيران إلى إيجاد موطئ قدمٍ لها على البحر الأبيض المتوسط، في مدينة اللاذقية السورية. وثمة احتمالٌ كبير أنّ تغيّر إيران تكتيكات حربها غير المتكافئة، وتعمل على رفع قدراتها في استراتيجية "منع الوصول" وتعزيز قوّتها النارية، بالإضافة إلى توسيع النطاق الجغرافي لوكلائها، وبالتزامن مع ذلك ستعمل على زيادة مدى وكميّة ودقّة قوّتها الصاروخية.

الوجود الأمريكي القوي في منطقة الخليج العربي

من المتوقع أن تكون المعركة بين أمريكا وإيران - في حال حدوث مثل هذا السيناريو في البحر- على أشدّها في الخليج العربي أو بحر عُمان، أي في نقاط التماس التي تنشط فيها الوحدات الإيرانية والأمريكية. ستلجأ أمريكا، بالإضافة إلى المواجهة البحرية، إلى الضربات الجويّة والقصف، ووفق ما صرّح به الخبراء المسؤولون الأمريكيون، ومن بينهم دونالد ترامب، فإنّه لا يوجد استخدام للقوات البرية في جدول أعمال الولايات المتحدة.

وفي هذا السياق، فإنّ للولايات المتحدة وجود كبير وقويّ في دول جنوب الخليج العربي، إذ يبلغ عدد الجنود الأمريكيين في مجلس التعاون لدول الخليج العربي أكثر من ٣٥٠٠٠ جندي، وكما أسلفنا سابقاً، فإنّ الجيش الأمريكي لديه سبع قواعد في منطقة الخليج العربي وهي:

- قاعدة الأسطول الخامس (الفرع البحري لـ USCENTCOM أو القيادة المركزية) في البحرين.

- قاعدة العديد الجويّة (وهي إحدى أهمّ مراكز العمليات خارج الحدود للجيش الأمريكي) في قطر.

- قاعدة ثمريت في سلطنة عُمان.

- قاعدة الشيخ عيسى الجوية في البحرين.

- قاعدة علي السالم الجويّة في الكويت.

- قاعدة أحمد الجابر الجويّة في الكويت.

- قاعدة الظفرة الجويّة في الإمارات العربية المتحدة.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ الولايات المتحدة بصدد إنشاء قاعدتين أخريين في الدُقم وصلالة في سواحل عمان.

إنّ مختلف أنواع الطائرات في قاعدة الظفرة هي ذات أهمية خاصة لإنجاز مهام القيادة المركزية، وذلك نظراً لمهامها المتعدّدة في مجالات الإمداد بالوقود، وجمع المعلومات الاستخبارية، والتجسس، والاستطلاع والرصد، والقيادة والتحكم، والهجوم البرّي والإسناد الجويّ.

وتعتبر قاعدتا "باغرام" في أفغانستان و"ليمونير" في جيبوتي، غير البعيدتين كثيراً عن منطقة الخليج العربي، من القواعد الرئيسية للولايات المتحدة. بعيداً عن ذلك، تمتلك بريطانيا قاعدةً بحرية في البحرين، كما أنشأت فرنسا قاعدةً بحريةً في ميناء أبو ظبي، وذلك أثناء تواجدها واستخدامها لقاعدة الظفر في الإمارات.

بالإضافة إلى القواعد المذكورة، تمتلك القوة البحرية الأمريكية أيضاً حاملة طائراتٍ، أي قاعدةً جويّةً متنقّلة في المنطقة، ويتمّ حمايتها من قِبل بوارج متعدّدة في مواجهة تهديدات سفن السطح والغواصات والصواريخ.

ونظراً لتمركز القوّة العسكرية الأمريكية الهائلة في الخليج العربي، والتي يمكن استخدامها في مواجهة إيران، فلا حاجة للولايات المتحدة إلى الدول الأوربية، إلّا أنّ وجود قوّات هذه الأخيرة بالإضافة إلى قوّات الدول العربية في المنطقة، من شأنه أن يضفي الشرعيةً للهجوم الأمريكي. وفي الآونة الأخيرة انضمت كلّ من دول البحرين والإمارات العربية المتحدة والسعودية وبريطانيا وأستراليا وإسرائيل إلى التحالف البحري الأمريكي، لأجل حماية ناقلات النفط وتأمين خطوط الملاحة البحرية.

قصف المنشآت النووية

تريدُ إدارة ترامب إعادة النظر بشكلٍ كاملٍ في الاتفاق النووي مع إيران، وإيقاف دورة وقودها النووي، ولهذا يجب أن تكون الضربات الجويّة مترافقة بتحضيراتٍ تشلّ قدرة إيران على إنتاج السلاح النووي، وحتى الطاقة النووية السلمية أيضاً.

وفي هذا الصدد، فإنّ الضربات الأمريكية الدقيقة والموجّهة ضد المنشآت النووية الإيرانية ستؤدي إلى تأجيل البرنامج النووي الإيراني مؤقتاً لعدّة سنوات. فالتدمير الكامل للمنشآت والقدرات النووية الإيرانية سيتطلّب من الولايات المتحدة بذل جهودٍ كبيرة والقيام بعمليات عسكرية واسعة النطاق، وسيؤدّي ذلك بدوره إلى قتل أعداد كبيرة من الإيرانيين كما أنّه سيدمّر الكثير من البنى التحتية الإيرانية.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ مهاجمة المنشآت ومراكز التخصيب لن تكون كافية لتدمير قدرة إيران على امتلاك السلاح النووي، إذا ما بقيت محطات إنتاج أجهزة الطرد المركزي سليمة.

فبعد القصف الأمريكي، بإمكان إيران، إن اضطرّ الأمر، أن تقوم بإنتاج أجهزة الطرد المركزي في أسرع وقتٍ، و تتابع برنامجها النووي.

ومن غير المُرجّح أن تكون الولايات المتحدة على علمٍ بعدد ومواقع جميع المنشآت وورش العمل ذات الصلة بالبرنامج النووي الإيراني. فبعض المواقع التي تمّ تحديدها في الماضي في إيران، كانت في العموم مواقع صغيرة في مناطق ذات كثافة سكانية عالية بقيت في مأمنٍ عن رصد أقمار التجسس الصناعية.

يعتقد مؤيدو العمليات العسكرية ضدّ المنشآت النووية الإيرانية، في الولايات المتحدة، إنّ القيام بعملياتٍ محدودة سيحسم أمر البرنامج النووي لهذا البلد. لكن في حقيقة الأمر فإنّه- حتى لأجل

القيام بعمليات محدودة- يتعيّن على الولايات المتحدة أن تدمّر الدفاعات الجوّية الإيرانية، بما في ذلك مواقع الصواريخ والقواعد الجويّة، لتفادي ردّها. وتنفيذ هذا العمل بحاجة إلى قاذفات قنابل استراتيجية بعيدة المدى مثل **(B52)**، والطائرات المسيّرة المسلّحة، والمقاتلات الحربية- القاذفة للصواريخ، وحاملة السفن، والسفن الحربية والغواصات (لإطلاق صواريخ كروز)، وإلى الحرب الإلكترونية.

بصرف النظر عن التعقيد الكامن في هذه العملية، إذا لم يتمّ تدمير المنشآت النووية خلال الموجة الأولى من هذه الضربات، ولم يكن تدميرها نتيجةً للتقييم الذي سيحصل عقب ذلك، فإنّ أمريكا ستضطر إلى تنفيذ المزيد من الهجمات، ومن المحتمل ألّا يؤدّي استمرار المعارك اللاحقة إلى تدمير جميع المنشآت الإيرانية.

وفي المجمل، فإنّ الضربات الجوية وحدها ليس بإمكانها أن تنهي البرنامج النووي الإيراني. وقد توصّلت بعض المراكز الفكرية الأمريكية الهامّة أيضاً في دراساتها المفصّلة إلى هذه النتيجة. وبحسب هذه الدراسات فإنّ القصف المستمرّ الموجّه والدقيق من قبل الولايات المتحدة، في أفضل السيناريوهات، بإمكانه أن يعيق مساعي إيران لإنتاج السلاح النووي لأربع سنوات كحدٍّ أقصى، إذا اعتبرت ذلك أمراً ضرورياً.

كان جون بولتون يطالب بالتدمير الكامل لدورة الوقود النووي الإيراني، كما يؤكد ترامب أيضاً أنّه لن يسمح أبداً لإيران أن تتسلّح بالسلاح النووي. ولن يكون من الممكن تحقيق هذه الأهداف من خلال "ضربتين جوّيتين فقط" مثلما زعم السيناتور الجمهوري توم كوتن في شهر أيار/مايو من العام الجاري، وهو نفسه كان قد قال في العام السابق أنّ بإمكانه أن يحسم أمر إيران "خلال بضعة أيام"، في حين أنّ بلوغ هذه الأهداف يحتاج إلى غارات جويّة متواصلة واسعة النطاق وعمليات بحرية والتي قد تستمرّ لشهور.

وستكون نتائج حرب طويلة كهذه كارثيةً، ولا سيّما في الشرق الأوسط الذي يشهد حالةً عدم استقرار، كما أنّ بوسع إيران أن تجعل وضع المنطقة أكثر سوءاً مما هي عليه الآن، ومن المستبعد أيضاً أن تقف إيران مكتوفة الأيدي أو أن ترفع راية الاستسلام إذا ما تعرّضت لهجوم أمريكي واسع النطاق.

عمليات إزالة الألغام

خلافاً للاعتقاد السائد، فإنّ عمليات إزالة الألغام بغية تنظيف المناطق الملغومة من قبل إيران، سيكون أمراً في غاية الصعوبة بالنسبة للولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى، فهذا العمل يستغرق وقتاً طويلاً ويتطلب تكاليف كبيرة، كما يحتاج إلى موارد كثيرة بشرية ومادية، من ضمنها البوارج وطائرات الهليكوبتر والوحدات الهندسية المختلفة المتخصصة بسطح البحر والجوّ.

بحسب دراسة شاملة أجراها الخبير الأمريكي والأستاذ المحاضر في جامعة جورج تاون، كيتلين تومغ، فإنّ عملية إزالة الألغام في مضيق هرمز والمياه المحيطة بها، من قبل الولايات

المتحدة، تحتاج إلى مدّةٍ تتراوح بين ٢٨ و ٤٠ يوماً، وإذا ما أضفنا إلى عمليات إزالة الألغام، المدّة التي تتطلّبها العمليات الأخرى لردع إيران، مثل تدمير راجمات الصواريخ الساحلية الموجّهة إلى البحر والدفاعات الجويّة والقوّة البحرية، فإنّ المدّة الزمنية لهذه العمليات المشتركة ستكون في أفضل الأحوال ٣٧ يوماً، وفي أسوئها ١١٢ يوماً.

وفي هذا السياق، فإنّ إحدى نقاط الضعف الرئيسية لإيران تكمن في عدم امتلاكها القدرة على إزالة الألغام؛ بمعنى أنّه في حال زرع الألغام في الموانئ والجزر الاستراتيجية لإيران ومحاصرتها من قبل أمريكا، فإنّ إيران ستكون عاجزةً عن إزالة الألغام أو تفكيكها.

خاتمة

عملاً بمقولة "سون تزو": "إنّ إخضاع جيش العدوّ وإلحاق الهزيمة به بدون قتال هو فنّ"، يسعى دونالد ترامب في الخطوة الأولى، التي تتمثل في فرض الضغوط الشديدة الشاملة والمتواصلة على إيران، إلى إرغامها على قبول مطالبه، ولأجل الوصول إلى هذا الهدف فإنّه يتبّع "سياسة العصا الكبيرة"؛ بمعنى أنّه يتحدّث بلينٍ أغلب الأحيان، ويُبدي تعاطفه مع الشعب الإيراني، ويدعو إلى حلّ القضايا عن طريق الحوار، في الوقت الذي يعتزم فيه، من خلال حشد قوّة هائلة في منطقة الخليج العربي، على اتخاذ الخطوة الثانية، ويبدأ بالعمليات العسكرية في الوقت المناسب، في حال لم تجدِ العقوبات نفعاً، ورفضت إيران الاستسلام.

على نحوٍ مماثل، يرى مايك بومبيو وغيره من مسؤولي الحكومة الأمريكية في كثير من الأحيان، أنّ الدبلوماسية هي طريق الحلّ ، دون أن يجعلوا مطالبهم الإثني عشر، على الأقلّ، غايةً أو مقدّمةً للحوار؛ هذه المطالب التي بعضها، فضلاً عن أنها لا تستند إلى أيّ أساس، لا علاقة لها بالاتفاق النووي، وهي لا تنتهك مصالح الجمهورية الإسلامية وحسب، بل تنتهك المصالح القومية الإيرانية بشكلٍ عام.

لقد أثقلت العقوبات المفروضة المُرهِقة كاهل إيران والشعب الإيراني، وليس مستبعداً أن تسوء الأوضاع أكثر مما هي عليه الآن. وذلك دون مشاهدة مؤشراتٍ تدلّ على أيّ تغيير في السياسة الخارجية الإيرانية. وفي الوقت الراهن، إن لم يطرأ تعديل على المطالب الإيرانية والأمريكية، فلا يمكن مشاهدة أي حلّ دبلوماسي في الأفق للقضايا العالقة بين الطرفين، على الأقل حتى موعد انتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة.

في ظروفٍ كهذه، وبالنظر إلى زيادة حدّة التوترات الناجمة عن الهجمات الأخيرة في ميناء الفجيرة وبحر عمان ومنشآت آرامكو، وإلى النشاط المتقارب للقوات الإيرانية والأمريكية في مياه الخليج العربي وبحر عُمان، فإنّ احتمال إجراء حسابات غير دقيقة، وبالتالي حدوث مواجهة عسكرية، بات كبيراً جداً، ومن الممكن أن تؤدي ردود الأفعال اللاحقة إلى تحوّل هذه المواجهة إلى حربٍ شاملة.

على عكس بعض التصورات التي تقلّل من قدرات إيران العسكرية، أو تعتبر أيّة مقاومة في وجه أمريكا عديمة الجدوى، فإنّ نظرة واقعية إلى الأدوات، والقدرات والخيارات المتاحة

لإيران، والتي تمّ التطرّق إليها أعلاه، توضّح أنّه إذا واجهت أمريكا إيران في المناطق القريبة إلى السواحل والمياه المحيطة بها، لن بإمكانها إخراج القوات الإيرانية من الساحة بسهولة وخلال مدّة قصيرة.

هذا وتُشكّل إيران تحدّياً كبيراً للولايات المتحدة الأمريكية، نظراً لقدراتها المتزايدة على إنجاح استراتيجية "عدم الوصول" الخاصة بها.

في نهاية المطاف، ستنتصر الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب مع إيران، باعتبارها أكبر قوة عسكرية في العالم، ولكنّ ثمة مثلٌ شعبيٌّ يقول: "ألا ترى عندما يشعر القطّ بعجزه، كيف ينشب مخالبه في عين النمر؟" ولذلك، فإنّ الولايات المتحدة لن تخرج من الساحة دون إصابات وخسائر. ومن ناحية أخرى إذا ما نظرنا إلى الحرب الأمريكية على أفغانستان والعراق وما خلفتها من آثار سلبية ما تزال قائمة حتى الآن، فإنّه من غير المرجّح أن تنجح الولايات المتحدة في إحلال السلام والاستقرار عقِب نجاحها في تحقيق النصر على إيران في ميدان المعركة.